

المحاضرة رقم 7: شبكات التواصل الاجتماعي وصناعة الفضاء العمومي البديل

السداسي: الثاني | الوحدة: الاستكشافية | الرصيد: 1 | المعامل: 1

أولاً: مدخل عام

شهدت العقود الأخيرة تحولات جذرية في مفاهيم الاتصال العمومي والإعلام الجماهيري، كان أبرزها انبثاق فضاء عمومي رقمي بديل تقوده شبكات التواصل الاجتماعي، بعيداً عن الوسائط التقليدية الخاضعة للمؤسسات الرسمية والضوابط الصارمة. في هذا الفضاء الجديد، أصبح الأفراد والجماعات ينتجون ويشاركون المحتوى، ويناقشون القضايا العامة بطريقة أفقية ومفتوحة، ما أدى إلى إعادة تشكيل العلاقة بين المواطن، الدولة، ووسائل الإعلام.

ثانياً: تعريف الفضاء العمومي البديل

الفضاء العمومي البديل هو حيز غير رسمي، ينشأ خارج المنظومات الإعلامية والسياسية التقليدية،

ويتميز بـ:

- اللامركزية في صناعة المحتوى
- المشاركة الأفقية وغير النخبوية
- التعددية والتنوع في الآراء والفاعلين
- ضعف الرقابة المؤسسية وضعف التصفية الإيديولوجية

وهو يتمظهر غالباً في المنصات الرقمية مثل: فيسبوك، تويتر، إنستغرام، يوتيوب، تيك توك، إلخ.

ثالثاً: شبكات التواصل كأدوات لإنتاج الفضاء العمومي

1. من البث إلى التفاعل

انتقل الإعلام من نموذج المرسل-المستقبل إلى نموذج المنتج-المستهلك التفاعلي (Prosumer)، حيث ينتج المستخدم محتوى ويستهلكه في آن واحد.

2. إتاحة المشاركة الفورية

توفر هذه الشبكات أدوات مباشرة للتعبير: منشورات، تغريدات، تعليقات، بث مباشر، صور وفيديوهات... مما جعل من كل مستخدم فاعلاً محتملاً في النقاش العمومي.

3. تجاوز الرقابة الرسمية

يمكن نشر محتويات تنتقد فيها سياسات الدولة أو ممارسات النخب الحاكمة، دون المرور عبر القنوات التقليدية التي تخضع للضبط أو الرقابة.

رابعاً: الخصائص الاتصالية للفضاء العمومي عبر الشبكات

الخاصية	التفسير
التفاعلية	تعليقات، إعجابات، ردود فورية على كل منشور أو محتوى
السرعة	سرعة تداول الأخبار والآراء في دقائق معدودة
المرئية العالية	المحتوى البصري (فيديو، صور، بث مباشر) يعزز تأثير الرسائل
التخصيص	يتلقى كل مستخدم محتوى مختلفا وفق تفضيلاته وسلوكياته الرقمية
الاتصال غير المتزامن	المستخدم يشارك في النقاش متى شاء، دون إلزام زمني

خامسا: أدوار الفضاء العمومي البديل

1. مساحة للنقاش العمومي الحر

أصبحت الشبكات وسيلة المواطنين للتعبير عن آرائهم في مواضيع اجتماعية، سياسية، ثقافية، واقتصادية، دون وساطة الصحافة الرسمية.

2. منصة للاحتجاجات والحملات

مثل حملة #MeToo، الربيع العربي، حراك الجزائر 2019، حركة "Black Lives Matter"، إلخ.

3. أداة لتكثيف القضايا المهمشة

أعدت الشبكات الاعتبار لقضايا كانت مهمشة في الخطاب الإعلامي مثل حقوق الأقليات، البيئة، العنف ضد النساء.

4. إنتاج إعلام بديل

ظهور مدونين وصحفيين مواطنين ومؤثرين ينافسون وسائل الإعلام التقليدية في نقل الأحداث وتحليلها.

سادسا: نماذج دولية لاستخدام الفضاء العمومي البديل

1. الربيع العربي (2011)

- استخدمت فيسبوك وتويتر كمنصات للتعبئة والتنظيم والتواصل بين النشطاء.
- ساهمت في خلق حالة "ضغط شعبي" تجاوز الإعلام الرسمي.

2. حراك الجزائر (2019)

- لم تكن هناك وسيلة إعلامية محلية تغطي المظاهرات بحرية، فكان فيسبوك هو المصدر الأساسي للمعلومة والصور والفيديوهات.

- لعب دورا في تنفيذ الروايات الرسمية وتنسيق الحركات الشعبية.

3. احتجاجات هونغ كونغ

• اعتمد المتظاهرون على تيليغرام وتويتر للتنسيق والنشر الآمن بعيدا عن أعين الرقابة الصينية.

سابعاً: حدود الفضاء العمومي البديل

1. المعلومات المضللة (Fake News)

غياب التحقق والتحرير الصحفي يؤدي إلى انتشار الشائعات والمعلومات الكاذبة.

2. هيمنة خوارزميات المنصات

المنصات لا تعرض كل الآراء بعدالة، بل ترجح المحتوى المثير/الجدلي.

3. الاعتداء على الخصوصية

المستخدمون ينشرون آراءهم دون وعي بحجم تتبع نشاطهم أو استغلاله تجارياً وسياسياً.

4. الاستقطاب الرقمي

ينغلق الأفراد داخل "فقاعات معرفية" تؤكد فقط ما يعتقدونه مسبقاً، مما يضعف الحوار العمومي التعددي.

ثامناً: العلاقة بين الفضاء العمومي التقليدي والرقمي

الفضاء التقليدي	الفضاء الرقمي البديل
تحكم مؤسسي و نقابي	تحرر من القيود المؤسسية
انتاج نخبوي للرسائل	إنتاج شعبي وتشاركي
مصدقية عالية و تحقيقات	سرعة وانتشار واسع، لكن مصداقية متقلبة
خطاب رسمي و منضبط	خطاب شعبي حر، متنوع، وأحياناً فوضوي

لكن هناك تداخل مستمر بين الفضاءين، فكثير من الصحفيين والمؤسسات الإعلامية باتوا

يتفاعلون داخل الشبكات الاجتماعية أيضاً.

تاسعاً: الإطار النظري: هابرماس في السياق الرقمي

1. نظرية الفضاء العمومي عند هابرماس

يرى هابرماس أن الفضاء العمومي هو مجال نقاش عقلاني، حر، ومتساو بين المواطنين.

2. التحديات الرقمية

• صعوبة تحقيق العقلانية في النقاش داخل بيئة شعبية وفوضوية أحياناً.

• غياب الضوابط المؤسسية يمكن أن يضعف جودة النقاش الديمقراطي.

• انتشار "التلاعب العاطفي" بالمحتوى بدل "الحوار العقلاني".

- أسئلة للنقاش

- هل تعتقد أن شبكات التواصل الاجتماعي مكنت الشعوب من خلق فضاء عمومي حقيقي، أم أنها أعادت إنتاج نفس آليات السيطرة ولكن بشكل خفي وخوارزمي؟
- ما هي حدود الحرية في النقاش الرقمي؟ وهل يمكن بالفعل قيام ديمقراطية رقمية مفتوحة في عالم تحكمه شركات تكنولوجية عملاقة؟

خاتمة المحاضرة

يمكن القول ان شبكات التواصل الاجتماعي وفرت إمكانيات هائلة لإعادة بناء الفضاء العمومي بطريقة أكثر انفتاحا وتعددا، لكنها في الوقت نفسه أثارت تحديات تتعلق بالمصداقية، الاستقطاب، والتحكم الخفي، وبين التمكين والتهديد، وتبقى مسؤولية الأفراد والمجتمعات في تطوير هذا الفضاء الرقمي ليكون حقيقيا، حرا، وفعالا في خدمة المصلحة العامة.